بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلية العلوم الاسلامية- قسم العقيدة والفكر الاسلامي.

محاضرات في علم الكلام المعاصر. **المرحلة الرابعة**

جمع وترتيب: د. محمد خليل ابراهيم.

المدرسة العقلية الحديثة.

إن المدرسة العقلية اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي العاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلا جديدا يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، مع انفجار المعلومات والاكتشافات الصناعية الهائلة في هذا العصر.
قامت المدرسة العقلية الاصلاحية الحديثة على أنقاض المدرسة العقلية القديمة (المعتزلة) وورثت العديد من افكارها، مثل : تحكيم العقل والرجوع إلى أحكامه، ورفْعه إلى مرتبة الوحي، وتأويل بعض الغيبيات كالملائكة والجن والسِّحر وردِّ بعض الأحاديث الصحيحة أو تأويلها، ونشأت هذه المدرسة في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجري في مصر على يد : جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ - ١٣١٥هـ)، ومحمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ)، وجاءت نشأة هذه المدرسة إبان ضعْف الدولة العثمانيَّة، وكان فيه الغرب (العالم النصراني) يتقدَّم في الماديات بصورة مذهلة، فكان موقف هذه المدرسة محاولة التأقلم مع توفيق بين تلك الحضارة الوافدة مع الإبقاء على الانتماء الإسلامي، فدعت إلى الأخذ بتلك الحضارة، متأوِّلة ما يَتعارَض معها من نصوص شرعيَّة.
ولقد تأثَّر بهذه المدرسة كثيرون، وفي مقدمتهم تلامذة الشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا ومحمد مصطفى المراغي ، ومحمد فريد وجدي وعبدالقادر المغربي وقاسم أمين ، ومحمود شلتوت ، وأحمد الباقوري وعبد المتعال الصعيدي ثم تبع آثارهم من بعدهم كالغزالي والقرضاوي ومحمد عمارة وحسين أحمد أمين. ومما يلاحظ أن أتباع هذه المدرسة ذوو اهتمامات مختلفة، فمنهم السياسيون، ومنهم الصحفيون، ومنهم الأدباء، هؤلاء فضلاً عن العلماء والمفكرين الإسلاميين.

أبرز معالم المدرسة العقلية المعاصرة .

١. المواءمة والتوفيق بين نصوص الشرع ومعطيات الحضارة الغربية وفكرها المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلا جديدا يتلائم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، وعرض الاسلام عرضا يقبله المثقفون ثقافة عصرية.
٢. رد السنة النبوية كليا أو جزئيا، فمنهم من يردها مطلقا، ومنهم من يقبل المتواتر العملي فقط ومنهم من يقبل المتواتر مطلقا عمليا كان أو قوليا، أما حديث الآحاد- والمقصود بحديث الآحاد ما لم يبلغ حد التواتر كأن يروي من طريق واحد أو من طريقين فقط أو ما أشبه ذلك دون أن يصل إلى حد التواتر- فقد يقبلون منه ما يتوافق

مع روح القرآن، وما يتفق مع العقل، أو التجربة البشرية، وقد يردها بعضهم مطلقا، فلا يقبل منها شيئا حتى لو كان صحيحا.
٣.التوسع في تفسير القرآن الكريم على ضوء العلم الحديث بكافة جوانبه، ولو أدى ذلك إلى استحداث أقوال مجانبة لتركيب الآيات القرآنية من الناحية اللغوية، وغير موافقة للمنقول عن السلف رضي الله عنهم، من خلال اعتماد التأويل وجعله الركيزة الاساسية في التجديد ومن ذلك -مثلا- أن بعضهم يؤولون الملائكة، والشياطين، والجن، والسحر، وقصة آدم، والطير الأبابيل، وغيرها مما ورد في القرآن الكريم.
٤.التهوين من شأن الإجماع، إما برفضه رفضا كليا كما نجد عند (أحمد خان الهندي) وهو من أكابر رجال المدرسة العقلية، بل إن له من الآراء ما يرفضه العقلانيون الآخرون، فهو يرفض الإجماع رفضا كليا، ومنهم من يقيد الإجماع، كما نجد عند (محمد عبده) وغيره، حيث يضيف لتعريف الإجماع المعروف في أصول الفقه قيودا جديدة لم تكن معروفة عند العلماء.
٥. الحرية الواسعة في الاجتهاد مع غض النظر عن الشروط المطلوبة في المجتهد، ومع غض النظر أيضا عن الأطر العامة التي يجب أن تضبط هذا الاجتهاد، ولذلك نجد أن كثيرا منهم وقعوا نتيجة لنا يسمونه بـ (الاجتهاد) في آراء شاذة ومنكرة لم يقل بها أحد من قبلهم، وشجعهم على ذلك موقفهم من الإجماع.
٦. الميل إلى تضيق نطاق الغيبيات ما أمكن، وذلك تأثرا بالتيار المادي الذي يسود الحضارة المعاصرة، ومن هنا جاء إقحام العقل في المسائل الغيبية، وتأويل الملائكة والجن والشياطين ...
٧. تناول الأحكام الشرعية العملية تناولا يستجيب لضغوط الواقع، ومتطلباته، وذلك كقضايا الربا، وكذلك قضايا (حرية الفكر) وغيرها.
٨. اعتماد الفهم المقاصدي للإسلام بدل الفهم النصي.
٩.اقامة الرابطة الاجتماعية بين الناس اساس الوطنية والانسانية. لا على اساس الدين.

الجذور الفكرية للمدرسة العقلية الحديثة.

من حلال استعراض اهم العناصر المكونة لفكر المدرسة العقلية الحديثة يتيبن لنا انها ورثت فلسفة المعتزلة ومنهجاها ، وتسعى للتوفيق بين الاسلام والعلمانية الحديثة، فكما وقعت المعتزلة تحت تأثير الغزو الفكري الوافد على العالم الاسلامي من اليونان والهند عبر حركة الترجمة، فأن المدرسة العقلية الحديثة أصيبت بهزيمة نفسية أمام الحضارة الغربية المنتصرة ، وجرت على المدرستين سنة تقليد المغلوب للغالب ولتي صاغها ابن خلدون رحمه الله بعبارة جميلة حيث قال:(أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه).